تنظيم الدولة الإسلامية
وتأثيره على الأمن القومي الجزائري

أ. محمد العربي كريم

مقدمة:

شهد العقد الأخير تطورات وأحداث دراماتيكية سمحت في ظهور جماعات سلفية جهادية عديدة كان آخرها ما بات يعرف بـ "تنظيم الدولة الإسلامية" حيث بات التنظيم متصدر المشهد نظراً للهالة التي أثيرت حوله، وأصبح من الفواعل المؤثرة في طبيعة المتغيرات الداخلية والإقليمية للعديد من الدول. فمع ظهور بوادر الأزمات في بعض الدول العربية وبالأخص ما عرف بثورات الربيع العربي في عام 2011 وما تبع ذلك من تهاوي وسقوط عدد من الأنظمة، وانشغال أخرى بتثبيت أركانها، كل ذلك مكن من إيجاد بيئة مناسبة لهذه الجماعة للاستقرار والتوسع. فلم يقتصر تواجده في معاقله في العراق وسوريا التي كانت منطلقاً له بل راح يتوسع ويؤسس لقواعد وجبهات جديدة كجبهة اليمن وسيناء في مصر وسرت الليبية وباكستان ونيجيريا وغيرها. وهنا يحتار الأكاديميون والباحثون في توصيف تنظيم الدولة الإسلامية فتارة يرى البعض أنه من صنيع القوى الخارجية التي تتربص بالمنطقة، ويرى آخرون أنه يعبر عن طائفة مهضومة الحقوق وأن التنظيم ظهر لرفع الغبن والظلم عنها ويستدلون بذلك على ما آلت إليه أوضاع السنة في العراق، ويرى أكاديميون أنه فصيل يحمل طابع ديني عقدي، لن نخوض في هذا الجدل كثيراً فهو في الحقيقة واقع مفروض على الساحة.

سأحاول في هذه الورقة تحليل ظاهرة تنظيم الدولة وتواجده في الجزائر ومدى تأثيره على أمنها واستقرارها خصوصاً وأن الجزائر كان لها تجارب صدام مع الحركات الجهادية. وفي هذا الإطار فإن التنظيم يولي للجزائر أهمية كبيرة من جانبين الجانب الأول ما تحويه الجزائر من موارد كالنفط والغاز و التي قد تكون مصدر من مصادر تمويله والجانب الثاني هو أن التنظيم يريد إنشاء ولاية جديدة يوسع بها مجال تمدده حيث يرى التنظيم في منطقة المغرب العربي قاعدته الخلفية للوصول إلى الضفة الأوروبية .

منهجية الدراسة:

أي دراسة علمية لكي تكتمل لا بد لها من منهج واضح تسير عليه لكي يحدد معالمها, وسوف تسعى هذه الدراسة إلى الاعتماد على منهج دراسة الحالة وسيتم استخدامه حسب حاجة الدراسة إليه .

– منهج دراسة الحالة : حيث يعد هذا المنهج من أقدم المناهج الوصفية التي استُخدمت في العلوم الاجتماعية وهي تُمثل طريقة أو مدخل للبحث يتم التركيز فيه على حالة مُعينة، ولهذا المنهج أهمية في دراسة الشخصيات والجماعات السياسية المؤثرة في مجتمعاتنا، والتي ترتبط خصائصها المشتركة حضارياً وتاريخياً وثقافياً واقتصاديا ولذلك سيتم تطبيق هذا المنهج في دراسة تأثير تنظيم الدولة و إمكانيته من جهة وخطره على الأمن القومي الجزائري من جهة أخرى .

ومن خلال هذه الدراسة سنحاول التطرق إلى تنظيم الدولة الإسلامية وما يمثله من خطر على الجزائر، وكذلك الخطوات التي تتخذها الجزائر للحد من ظاهرة التنظيم وتمدده. بحيث تنقسم الدراسة إلى:

أولاً: تنظيم الدولة (النشأة، الإمكانيات، التأثير).

ثانياً: حالة الجزائر وما يمثله تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) من مخاطر وتهديدات.

أولاً: تنظيم الدولة (النشأة، الإمكانيات، التأثير)

لم يكن يدر في بال المتابعين لشأن الجماعات الجهادية أن يستطيع تنظيماً ولد في مدينة الموصل الوصول للعالمية لتصل هجماته إلى الغرب بل ويصبح محل اهتمام وإحاطة من قبل جيوش عالمية ليتشكل تحالف خاص لمحاربته، فمنذ اليوم الأول لتشكل ما يعرف بتنظيم الدولة تغيرت المعادلة بشأن الحرب على الإرهاب وأصبح الأمر أكثر تعقيداً من الحرب على تنظيمات أخرى سبقته كتنظيم القاعدة. والسؤال الذي سنحاول الإجابة عليه هو: ما هو تنظيم الدولة؟ و إلى أي مدى يمكن للتنظيم التأثير في الواقع الإقليمي والدولي؟

1- النشأة:

جاء الاحتلال الأمريكي للعراق في سنة 2003 ليبدأ معه ميلاد تيارات جهادية كثيرة في المنطقة العربية، فمنذ أن وطئت جحافل الجيش الأمريكي العراق بدأ ما عرف بالجهاد المقدس في مواجهة الغرب وعملائه المحليين.

فمع الإعلان عن تشكيل جماعة التوحيد والجهاد في عام 2003 والإعلان عن ولائها لتنظيم القاعدة وتغيير اسمها ليصبح (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين)[1], بعد هذا الإعلان توالى نشاط الجماعات الجهادية ليأخذ منعرجاً أكثر تنظيماً ففي يوم الأحد 15 أكتوبر 2006 أعلن مجلس شورى المجاهدين في العراق

(1) بيان جماعة التوحيد والجهاد و الذي أعلن فيه أبو مصعب الزرقاوي بيعته لتنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن ، الأحد 17 أكتوبر 2004، www.alarabiya.net/articles/2004/10/17/7218.html

في بيان عن ميلاد وتأسيس ما سماه دولة العراق الإسلامية بقيادة أبو عمر البغدادي وجاء ذلك البيان رداً على إقرار البرلمان العراقي لقانون تشكيل الأقاليم, وبعد انحياز الأكراد في دولة الشمال وإقرار دولة في الجنوب للشيعة[2]. ثم دارت الأحداث متسارعة حتى 29 أبريل من سنة 2013 حيث أعلن أبو بكر البغدادي في بيان صوتي عن تشكيل ما عرف بالدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش). حيث أعلن عن توحيد اسميْ "جبهة النصرة" و"دولة العراق الإسلامية" تحت اسم واحد وهو "الدولة الإسلامية في العراق والشام"[3]. ومع تزايد نفوذ الجولاني بسوريا، ورفضه فتوى بدمج قواته تحت قيادة زعيم تنظيم الدولة بالعراق، شنّ البغدادي حربا على جبهة النصرة مما أدى إلى انفصاله عن تنظيم القاعدة[4].

وقد قوبل هذا البيان بتحفظ من قبل جبهة النصرة ودبت الخلافات بين الجماعتين بعد أن اتهمت هذه الأخيرة تنظيم الدولة بمحاولة الإنفراد بالسيطرة والنفوذ [5].

وفي 29 يونيو 2014 أعلن أبو محمد العدناني المتحدث الرسمي باسم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام عن تغيير اسم التنظيم ليصبح (الدولة الإسلامية) ويصبح أبو بكر البغدادي هو خليفة لكل المسلمين[6].

---

(2)"مجلس شورى المجاهدين" يعلن تأسيس إمارة إسلامية في العراق ، بيان صوتي لمجلس شورى المجاهدين يعلن فيه عن تأسيس إمارة إسلامية في العراق ، lhttp://www.alarabiya.net/articles/2006/10/15/28296.htm

(3) بيان صوتي لأبو بكر البغدادي يعلن فيه عن تشكيل الدولة الإسلامية في العراق و الشام، https://www.youtube.com/watch?v=1CukB6APYJ8

(4) دراسة بعنوان : "تنظيم الدولة النشأة و الأفكار" ، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، http://www.fikercenter.com/ar/p/political_analysis/view/a6zaxn3

(5)تنظيم الدولة الإسلامية ، 2014/6/14 http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews

بعد إعلان العدناني، تبين أن التنظيم بدأ مرحلةً جديدة قائمة على التوسع والانتشار وعدم الاعتراف بالحدود التي يفرضها عالمنا المعاصر وهو ما جاء في إصدار مرئي بعنوان (كسر الحدود)[7]. وقد ظهر العدناني في الإصدار محاطاً بمجموعة من مقاتلي التنظيم وبدأو في إزالة الحدود الترابية بين سوريا والعراق، ويرى بعض المحللين أن هذا الإصدار هو محاولة استعراضية الغرض منها إرسال رسائل إقليمية ودولية للتأكيد على أن التنظيم أصبح مكوناً رئيسياً ولاعباً مهماً في المشهدين الإقليمي والعالمي.

وتعد هذه هي المرة الأولى في تاريخ التنظيمات الجهادية التي تتحقق السيادة الكاملة لتنظيم على الأرض حيث سيطر تنظيم الدولة على مساحات واسعة من الأراضي في كل من العراق وسوريا [8].

2- الإمكانيات:

لم يخطئ نائب رئيس هيئة الأركان الأمريكية بول سيلف حينما حذر من قدرات وإمكانيات التنظيم حيث صرح بأن حرب بلاده ضد التنظيم لم تصل إلى نقطة التحول بسبب مرونة هذه الجماعة وقدرتها على التأقلم[9].

---

(6) بيان صوتي للمتحدث الرسمي باسم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (أبو محمد العدناني) ، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي ، بعنوان (هذا وعد الله) ، 29 يونيو 2014 .

(7) إصدار مرئي بعنوان (كسر الحدود) ، مؤسسة الاعتصام للإنتاج الإعلامي ، 29 يونيو 2014 .

(8) عبد الباري عطوان: الدولة الإسلامية (الجذور، التوحش، المستقبل)، بيروت، دار الساقي، الطبعة الأولى،2015، ص10.

(9) تصريح نائب رئيس هيئة الأركان الأمريكية حول الحرب على تنظيم الدولة ، واشنطن ، الخميس ، 9 ديسمبر 2015، http://www.ibtimes.com/us-strategy-against-islamic-state-group-anti-isis-military-action-syria-outlined-2217979 .

وهذا ما لوحظ جلياً حيث أن الضربات الجوية للتحالف ضد التنظيم لم تؤثر فيه أو تضعفه بالقدر الذي كان متوقعاً، ولكنها قلصت نفوذه على بعض المناطق حيث لوحظ انسحاب للتنظيم من عدة مناطق كان التنظيم يسيطر عليها على وقع الضربات الجوية الشديدة كمدينة عين العرب (كوباني) على سبيل المثال، ولكن خسارته تكون دائما وقتية ففي كثير من الأحيان يعود التنظيم ويسترد المناطق التي خسرها في معارك كر وفر.

لعل أبرز ما يميز تنظيم الدولة عن باقي التنظيمات هو تحقيقه للاكتفاء الذاتي في أمرين أساسيين:

الأمر الأول: من الناحية المالية، حيث سيطر التنظيم على آبار النفط ومصافيه شرق سوريا (الرقة ودير الزور) مما أمن للتنظيم دخلاً مالياً يومياً في حدود مليوني دولار أمريكي، ناهيك عن استحواذه على أكثر من نصف مليار دولار من النقد من خلال سيطرته على البنك المركزي العراقي في مدينة الموصل العراقية وكذلك مخزون الذهب عند اجتياحه للمدينة في 11 يونيو2014، بل وزاد التنظيم تمويله من عوائد الفديات المتحصل عليها جراء الإفراج عن الرهائن وبيع الآثار في كل من العراق وسوريا وهنا يتبين أن تنظيم الدولة حقق الاستقلال المادي الكامل عكس تنظيم القاعدة والتنظيمات الجهادية الأخرى والتي لا زالت تعتمد على المساعدات الخارجية[10].

(10) عبد الباري عطوان، الدولة الإسلامية (الجذور، التوحش، المستقبل)،مرجع سبق ذكره، ص 10: ينظر أيضاً – هبة القدسي، خريطة مصادر أموال "داعش" و نظامه المالي، جريدة الشرق الأوسط ، 25 نوفمبر 2015، على الرابط: http://aawsat.com/home/article/505041

الأمر الثاني: هو من ناحية التسليح، فقد استولى التنظيم على مخازن أسلحة الجيش العراقي عند اجتياحه للموصل وفعل الشيء نفسه عندما استولى على مخازن الجيش الحر في مدينة أعزاز شمال غرب سوريا واستيلائه على العديد من مخازن الجيش السوري في ثكناته العسكرية ومطاراته في الرقة ودير الزور وحلب وهذه كلها كانت تحتوي على ترسانة ضخمة من الأسلحة والعتاد العسكري[11].

وفي تقرير لمنظمة العفو الدولية فإن مقاتلي الدولة الإسلامية يتسلحون بمخزونات ضخمة من البنادق الآلية من طراز (AK47) (الكلاشنيكوف) وكذلك نظيرتها الأمريكية الصنع من طراز M16 والصينية من طراز (CQ) والألمانية من طرازي هيكلر وكوخ جي 3 والبلجيكية من طراز FN Herstal FAL كما لاحظ الخبراء وجودالأصناف التالية في ترسانة سلاح الدولة الإسلامية :بنادق القناصة النمساوية الصنع من طراز(شتير) والروسية من طراز (دراغونوف س في دي)، وبنادق آلية روسية وصينية وعراقية وبلجيكية الصنع، وصواريخ مضادة للدبابات سوفيتية ويوغسلافية الصنع ومدافع روسية وصينية وإيرانية. وبالإضافة إلى ذلك، تمكنت الدولة الإسلامية من الاستيلاء على عتاد أكثر تعقيداً من قبيل صواريخ موجهة مضادة للدبابات من طراز كورنيت روسية الصنع، وهي جي 8 الصينية، وميلان وهوت الأوروبية(وصواريخ أرض-جو) صينية الصنع من طراز FN-6) MANPADS[12].

(11) عبد الباري عطوان، مرجع سبق ذكره، ص 11.

(12) amnesty rapport, The Stock: The Arming of Islamic State, december, 2015.

وتشير إحدى الدراسات التي أجرتها منظمة تعنى بالنزاعات المسلحة وتجمع معلومات عن تسليح الدولة الإسلامية (داعش) حيث أكدت الدراسة على أن التنظيم يحصل على ذخائره من 21 دولة، وعلى أن هذا التنوع في مصادر التسليح يظهر مدى براعة مقاتليه في تسليح أنفسهم وتوسيع مناطق نفوذهم، وقد حذرت الدراسة في نفس الوقت من خطورة تزويد الأسلحة عبر وكلاء في المنطقة حيث أن القوات الأمنية تتسلم ذخائر ليست قادرة على الاحتفاظ بها[13].

أما بالنسبة لأعداد المقاتلين الوافدين على التنظيم فإن أعدادهم تتراوح بين 25الف إلى 30 ألف مقاتل حسب تقرير للبنتاجون الأمريكي صادر في يناير 2015 [14].

وفي تقرير أعدته صحيفة تيلغراف البريطانية، قدر التقرير إن عدد المقاتلين العرب بنحو يبلغ 12 ألف مقاتل موزعين بنسب متفاوتة على العالم العربي حيث جاءت تونس على سبيل المثال في مقدمة الدول المصدرة لهؤلاء المقاتلين [15].

---

https://www.es.amnesty.org/uploads/media/Taking_Stock_The_arming_of_IS.pdf.pdf

(13) حسين الطود ، داعش يتسلح من 21 دولة بينها الولايات المتحدة ، 06 أكتوبر 2014، على الرابط:

http://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/2014/10/06/

(14) هيئة الإذاعة البريطانية ، بالأرقام الحرب على تنظيم الدولة، على الرابط:

http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/02/150216_islamic_state_war_gch.

(15) Islamic state: where do its fighters come from?,

http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/islamicstate/11660487/Islamic-State-one-year-on-Where-do-its-fighters-come-from.html

أذن فالمعركة صعبة وطويلة هذا ما جاء على لسان الجنرال الأمريكي جون ألين حيث وصف الصراع بأنه (معركة أجيال) [16].

وأظهرت دراسة قام بها مركز تقييم الإستراتيجية والميزانية في أكتوبر 2014 أن ميزانية الحرب على تنظيم الدولة تبلغ أكثر مليار دولار، ويمكن أن تصل إلى 1,8 مليار دولار في حالة استخدام قوات برية في العمليات العسكرية حيث سيبلغ قوام تلك القوات المقاتلة 25 ألف مقاتل، وتقدر الدراسة تكلفة الغارات الجوية الأمريكية ضد عناصر تنظيم الدولة شهرياً بين 200 إلى300 مليون دولار لتصل التكلفة السنوية إلى 4 مليارات دولار تقريباً [17].

3- التأثير:

بخلاف باقي التنظيمات والجماعات المتشددة الأخرى، اكتسب تنظيم الدولة الإسلامية منذ اليوم الأول للإعلان عن نشأته، نفوذاً قوياً وتأثيراً بالغاً في مناطق نفوذه التي سيطر عليها اثر مهاجمة عناصره لتلك المناطق والاستخدام المفرط للقوة وترهيب الناس، زد على ذلك الظروف الميدانية في تلك المناطق السنية والتي ساعدت التنظيم على الاحتفاظ بالحضور والنفوذ القويين .

وقد تبنى التنظيم منذ أول يوم من إعلانه إستراتيجية ميزته عن غيره من التنظيمات بما فيها تنظيم القاعدة، فقد جاء وشعاره (باقية وتمدد) ليؤكد على وجوده وبقائه بل وعلى حلمه في التمدد وقد جسد التنظيم ذلك بالفعل فنجده في

(16) تصريح المبعوث الرئاسي الخاص للتحالف الدولي لمحاربة داعش، جون ألين، على الـــــرابط: http://arabic.euronews.com/2016/04/22/isil-will-be-defeated-us-general-john-allen-on-tackling-the-new-terrorism /

(17)الظاهرة الداعشية (دراسات حول داعش)، مجلة ذوات، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، العدد1، 2014 ، ص 44 .

فترة زمنية قياسية استطاع التوسع والسيطرة على مساحات شاسعة وهذا ما صرح به مدير المركز الوطني الأمريكي لمكافحة الإرهاب "ماتيو أولسين" حيث قال في خطاب ألقاه في معهد بروكينغس في واشنطن الأربعاء 3 سبتمبر أن تنظيم "الدولة الإسلامية" الذي يضم بحسب معلوماته أكثر من 10 آلاف من المقاتلين، يملك قوة قتالية فعالة مشيرا إلى أنه يسيطر حاليا على الأراضي بين نهري دجلة والفرات التي تساوي مساحتها مساحة بريطانيا، وأوضح في الوقت نفسه أنه لا تتوفر لدى الاستخبارات الأمريكية في الوقت الراهن معلومات حول خطط "الدولة الإسلامية" (داعش) للقيام بأعمال إرهابية في الأراضي الأمريكية[18].

وتعود الخطورة البالغة التي يشكلها التنظيم إلى خواصه الفريدة وتجسيده لاتجاهات ومخاطر طويلة الأجل في الشرق الأوسط الكبير الممتد من باكستان إلى المحيط الأطلسي. وانطلاقاً من هذا الأخير، نرى نظام دولة كما وصفه مؤخراً هنري كيسينجر– يرزح تحت ضغطٍ هائل مع تشكيك شعوب المنطقة في شرعيته. فولاء هذه الشعوب لأي دولة معينة، ينافس أواصر انتماء حصرية، عشائرية كانت أم محلية، ودوافع مؤيدة للوحدة الإسلامية الإقليمية، ونزعات قومية فيما يتعلق بالشعوب العربية. وفي الواقع أن تنظيم داعش– يعدّ الحركة الأحدث بين سلسلة طويلة من الحركات الإسلامية المنادية بالوحدة الإسلامية الإقليمية والتي تتبنى منهج العنف[19].

(18) BROOKINGS INSTITUTION , MEETING WITH MATTHEW G. OLSEN DIRECTOR, NATIONAL COUNTER TERRORISM CENTER,September3,2014, http://www.brookings.edu/blogs/brookings-now/posts/2014/09/national-counterterrorism-center-director-isil-is-not-invincible .

(19) James F. Jeffrey, Assessing the Strategic Threat from ISIS , House Committee on Foreign Affairs February 12, 2015, Congressional

ثانياً: حالة الجزائر وما يمثله تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) من مخاطر وتهديدات:

مع إعلان الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن الحرب على الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، و منذ ذلك الحين لم يتمكن أحد من القضاء على ظاهرة الإرهاب بل انتشر وزادت دائرته نتيجة إطلاق الولايات المتحدة يدها في جميع دول العالم بحجة مكافحة الإرهاب[20].

وتواجه الجزائر كغيرها من دول الإقليم تهديدات إرهابية، كما تعرضت لبعض الأحداث الإرهابية التي تحاول النيل من قوة الدولة وتماسكها، وفي ظل هذه الموجة الإرهابية باتت الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية أمام عدة تحديات اقتصادية واجتماعية وسياسية، بل وحتى عسكرية تحاول المساس بالأمن القومي الجزائري فالأحداث التي يشهدها الوطن العربي تجعل الجزائر تعيد حساباتها الإستراتيجية خاصة مع فصول ما عرف بالربيع العربي، والتي اجتاحت موجته الدول العربية والتغيرات التي حلت فيها ناهيك عن انتشار الفوضى في دول الجوار كتونس وليبيا خاصة هذه الأخيرة التي عمت الفوضى أرجاء البلاد فيها مما سمح بانتشار السلاح وتأسيس خلايا للتنظيمات الجهادية على اختلاف توجهاتها ومشاربها فكانت تحرك الشارع العربي فرصة لهذه التنظيمات لبعث الروح

Testimony , prepared testimony submitted for the hearing "The Growing Strategic Threat of ISIS
http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/assessing-the-strategic-threat-from-isis

(20) فارس الخطيب ، الأمن القومي بعد الربيع العربي ، http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2013/12/17

فيها من جديد، كل ذلك حذا بالجزائر للتحرك قلقاً وحرصاً على أمنها من جهة، وكذلك لا تصل العدوى إليها من جهة أخرى.

1- الجزائر بوادر الأزمة وتداعياتها:

بدأ تاريخ التيارات الجهادية في الجزائر مع بزوغ ما عرف بالصحوة الإسلامية في الجزائر وبالتحديد مع (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) وهي الحركة التي فازت بأغلبية الأصوات في الانتخابات البرلمانية برئاسة عباس مدني وعلي بلحاج وذلك بتاريخ 26 ديسمبر 1991، وقد سبق هذه الأحداث حدث مهم للغاية وهو أحداث انتفاضة الأحد 5 أكتوبر 1988 أو ما يرى فيه الجزائريون ربيعهم العربي الذي سبق ثورات الربيع العربي باثنتين وعشرين سنة، والذي مهد وسمح بظهور التعددية الحزبية التي بموجبها ولدت الجبهة الإسلامية للإنقاذ. بعد فوز الجبهة تحرك الجيش الجزائري وقام بإلغاء المسار الانتخابي ما جعل الحركة تلجأ لرفع السلاح والدخول في حرب إستنزافية مع السلطة فكان أول وأبرز من توجه للعمل المسلح (الجماعة الإسلامية المسلحة) في سنة 1992 ودخلت البلاد في ما عرف بالعشرية السوداء، وتوصف بذلك لأن البلاد دخلت في حرب طاحنة بين الجماعات الجهادية وقوى الأمن والجيش الجزائريين، غير أن الحرب كان لها آثارها الدموية القاسية حيث سقط أكثر من 150 ألف مواطن جزائري ناهيك عن 7200 مفقود فضلاً عن الخسائر المادية التي لحقت بالبلاد[21].

(21)Heba Naguib Only Truth Could Heal This Pain": Algerian Women Speak of Their Search for the Disappeared , https://www.ictj.org/news/algeria-women-disappeared-truth 8/3/2016

ويرى مراقبون أن تنظيم الدولة ما هو إلا نسخة منقحة عن الجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر في تسعينيات القرن الماضي حيث يتخذ تنظيم الدولة نفس النهج العنيف الذي كانت الجماعة الإسلامية تسير عليه، لذا فهم يتفقان في نفس المقاربة الداعية إلى مواجهة كل من يخالف توجههم وفكرهم وتكفيره بالعنف المسلح[22].

لم يكن على الساحة الجزائرية تيار جهادي واحد بل تعددت التيارات المحاربة للدولة وكان جميعها يتفق على تكفير النظام ووصفه بالعمالة للغرب، حيث كان للجزائر أيضاً تجربة أخرى مع ما عرف بالسلفية الجهادية ممثلة في (الجماعة السلفية للدعوة والقتال)، التي تشكلت في عام 1998 من قبل "حسان حطاب"*، والذي انشق عن الجماعة الإسلامية المسلحة مع مجموعة من أتباعه ليشكل النواة الأولى للجماعة السلفية. مع هذا الإعلان و التوجه بدأ مسار التيار الجهادي يأخذ منعرجاً مغايراً بعض الشيء، حيث تبرأت الجماعة السلفية من المجازر* المرتكبة من قبل الجماعة الإسلامية المسلحة ضد الشعب الجزائري ولكنها واصلت نهجها

(22) نوال عياض، داعش نسخة منقحة عن جماعة الجزائر المسلحة ، 5 سبتمبر 2014م
http://www.alarabiya.net/ar/northafrica/algeria/2014/09/05

* حسان حطاب المدعو أبو حمزة ولد 14 جانفي 1967 في حي بن زرفة ببلدية برج الكيفان شرق الجزائر العاصمة. من مؤسسي الجماعة السلفية للدعوة والقتال وأميرها من 1999 إلى 2003، سلم نفسه لقوات الأمن في 22 سبتمبر 2007 في إطار المصالحة الوطنية.

* الحرب الأهلية الجزائرية أو العشرية السوداء في الجزائر هي صراع مسلح قام بين النظام الجزائري وفصائل متعددة تتبنى أفكار موالية لـ الجبهة الإسلامية للإنقاذ والإسلام السياسي، بدأ الصراع في يناير عام 1992 عقب إلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية لعام 1991 في الجزائر والتي حققت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ فوزا مؤكدا مما حدا بالجيش الجزائري التدخل لإلغاء الانتخابات البرلمانية في البلاد مخافة من فوز الإسلاميين فيها.

في قتال الحكومة الجزائرية وهدفها حسب زعم الجماعة قيام الدولة الإسلامية حيث تتفق مع تنظيم الدولة داعش في نفس الفكرة وهي تطبيق الشريعة الإسلامية في الأرض غير أن تنظيم الدولة داعش حلمه أكبر وهو تطبيق الخلافة والتوسع بينما الجماعة السلفية فكان نطاقها محصور في النطاق الجغرافي الجزائري. للتذكير فقد صنفت الولايات المتحدة الأمريكية الجماعة السلفية للدعوة والقتال في قائمة الإرهاب[23].

تطورت أمور الجماعة حتى وصل الحال بها إلى مبايعة تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن وليصبح اسمها (تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي)[24].

لن أخوض أو أصف تجربة التيارات الجهادية ولن أحكم عليها بالصواب أو بالخطأ وإنما كباحث ما يهمني تأثيرها على أرض الواقع لأن التعمق في وصفها يتطلب إسهاباً وتدقيقاً أكثر فالغرض من هذا البحث هو دراسة تنظيم الدولة الإسلامية ومدى قدرته على إيجاد الأرضية لتشكيل نواة له في الجزائر.

2- تنظيم الدولة والواقع الجزائري :

جاء الإعلان عن فرع تنظيم الدولة في الجزائر وعرف (بجند الخلافة في أرض الجزائر) وتنظيم الدولة كله أمل في أن يتحقق له انتصار كبير في أرض الجزائر بحكم التجارب التي سبقته للتنظيمات الجهادية في الجزائر فقد دخلت

(23)http://archive.wikiwix.com/cache/?url=http://www.state.gov/s/ct/rls/other/des/123086.htm&title=http://www.state.gov/s/ct/rls/other/des/123086.htm

(24) بيان انضمام الجماعة السلفية للدعوة والقتال إلى تنظيم القاعدة ، 2006/09/13 .

البلاد في آتون حرب استمرت قرابة العشر سنوات ولا زالت تداعياتها ظاهرة إلى يومنا هذا وكأن التنظيم جاء ليبني على ما شيدته تركة الجماعات والتيارات الجهادية السابقة والتي إما أنها تخلت عن العمل المسلح مع قانون المصالحة الوطنية الذي جاء به الرئيس عبد العزيز بوتفليقة والذي يعطي إعفاءاً كاملاً على من يضع السلاح ويجنح للسلم، أو أنها تخلت بسبب ما لقيته من الضربات الموجعة التي تلقتها من قبل قوى الجيش والأمن في إطار حربها ضدها.

جاءت مبايعة جند الخلافة في أرض الجزائر للدولة الإسلامية في تسجيل صوتي بث على شبكة الإنترنت، بايع فيه أمير الجماعة عبد المالك قوري * الملقب (بخالد أبي سليمان) الدولة الإسلامية وأبا بكر البغدادي خليفة[25]. وقد كان خالد أبو سليمان قبل ذلك تحت إمرة عبد المالك دروكال أمير تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي والذي انشق عنه في 2014/09/13، ونفذ أول عملياته الاستعراضية وهي خطف متسلق الجبال الفرنسي هيرفي غوردال بأعالي جبال ولاية البويرة وأراد التنظيم من خلال هذه العملية أن يثبت تواجده حيث ظهر الرهينة الفرنسي في تسجيل مرئي يناشد حكومة بلاده وقف الضربات الجوية على العراق شرطاً لإطلاق سراحه خلال أربع وعشرين ساعة [26].

* عبد المالك قوري : أمير ما يعرف بجند الخلافة ولد في عام 1977 ، قضت عليه قوات الجيش في مدينة يسر بولاية بومرداس هو وأثنين من أتباعه بتاريخ 2014/12/22 .

(25) مؤسسة الفتح للإنتاج الإعلامي، تسجيل صوتي لخالد أبي سليمان أمير جند الخلافة في أرض الجزائر يعلن فيه بيعته للدولة الإسلامية و لأبي بكر البغدادي خليفة .

(26) مؤسسة الفتح للإنتاج الإعلامي، تسجيل مرئي لجند الخلافة يظهر فيه اختطاف هيرفي غوردال/ ينظر أيضاً – بوعلام غبشي، جماعة "جند الخلافة" الجزائرية ... من هي ومن هو زعيمها؟ ، 2014/09/23 ، http://www.france24.com/ar/2014092

لم تستجب الحكومة الفرنسية ونفذ جند الخلافة تهديدهم بإعدام الرهينة، و قد صرح في هذا الشأن أحد النواب الفرنسيين وكان في السابق مكلفاً من قبل الحكومة الفرنسية في عمليات التفاوض في عمليات الخطف حيث قال (إنه في السابق كان يكفي التفاوض لإطلاق سراح الرهائن أما الآن فهم أكثر استقلالية وعنفاً).

3- إستراتيجية قوى الأمن الجزائرية لمواجهة خطر تنظيم الدولة:

مع بدء فصول أول عملية لجند الخلافة بدأ الجيش الجزائري في اتخاذ تدابير جديدة لمواجهة التنظيم قبل توسعه وتمدده فمنذ اللحظة الأولى لاختطاف غوردال بدأت وحدات من الجيش الجزائري في تمشيط المنطقة الجبلية الرابطة بين منطقة سحاريج بولاية البويرة مروراً بأعالي تيكجدة وحتى غابات واسيف بولاية تيزي وزو وهي المناطق التي تشكل مركز تنظيم جند الخلافة.

فالجيش الجزائري بحكم خبرته الميدانية خاض على مدار عقدين كاملين حرب تمرس فيها على حرب الجبال والعصابات فاكتسب خبرة ميدانية مكنته من القضاء على خلايا تنظيم الدولة في الجزائر، فلا يكاد يمر أسبوع إلا ويطالعنا الجيش الجزائري ببيانات ينشر فيها تفاصيل عملياته ضد تنظيم الدولة ومن جهة أخرى فقد عزز الجيش تواجده عبر الحدود الجزائرية خصوصاً بعد عملية الهجوم على المركب الغازي بتيقنتورين بولاية إليزي في 16 يناير 2013 حيث اقتحمت مجموعة مكونة من 32 فرداً من جنسيات مختلفة تنتمي لكتيبة تسمي نفسها (الموقعون بالدم) بقيادة بمختار بلمختار*، حيث صرح وزير الداخلية آن ذاك حو ولد قابلية، أن المجموعة حضرت للعملية وجاءت من ليبيا في منطقة اللوبغ[27].

* المختار بن محمد بلمختار المكنى بأبو العباس خالد. (ولد في 1 يونيو 1972، بغرداية).أمير منطقة الصحراء في الجماعة الإسلامية المسلحة والجماعة السلفية للدعوة والقتال

ومن أهم التحديات التي يواجهها الجيش الجزائري الانفلات الأمني في دول الجوار خصوصاً ليبيا حيث تبلغ مسافة الحدود الجزائرية مع جيرانها نحو 6386 كم، وهذا ما حدا بالجيش إلى تعزيز تواجد قواته وآلياته على الحدود خاصة الليبية منها [28].

وقد رفع الجيش حالة التأهب القصوى على الحدود الليبية وذلك خشية تسلل عناصر من تنظيم الدولة والذي بات يسيطر على عدد من المدن الليبية أبرزها سرت، وكذلك جاء تعزيز القوات منعاً لتهريب الأسلحة، وفي هذا الإطار أعلن الفريق أحمد قايد صالح رئيس أركان الجيش الجزائري ونائب وزير الدفاع رفع حالة التأهب الأمني في إطار الإجراءات الاحترازية تحسباً لأي تطورات محتملة في المنطقة خاصة بعد الأحداث التي شهدتها مدينة بن قردان التونسية ومهاجمة تنظيم الدولة لها من قبل أفراد التنظيم الذين تسللوا من ليبيا[29]. وتشير مصادر إلى أن قيادة الجيش الجزائري استنفرت أكثر من 50 ألف عسكري ودركي على

وأمير كتيبة الملثمين في تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي ومؤسس كتيبة الموقعون بالدماء.

(27) مسعود هدنة، الجزائر تعلن انتهاء عملية أمناس، على الرابط:
http://www.alarabiya.net/articles/2013/01/18/261141.html.
ينظر أيضاً:
- Aurélie Delmas , Prise d'otages d'In Amenas: L'Algérie fait le bilan du drame,http://www.20minutes.fr/societe/1084293-20130121-prise-otages-in-amenas-algerie-fait-bilan-drame , 21.01.2013

(28) بهاء الدين، الجيش الجزائري يدفع بتعزيزات ثقيلة على الحدود مع ليبيا، على الرابط:
http://www.elbilad.net/article/detail?id=32076

(29) قناة روسيا اليوم، الجيش الجزائري يعلن رفع حالة التأهب الأمني على الحدود، على الرابط: بتاريخ2016/3/14
https://arabic.rt.com/news/814800

الحدود مع ليبيا بعد سيطرة تنظيم الدولة على مدينة سرت الليبية، حيث أصبح لا يفصل مقاتلي التنظيم على الحدود الجزائرية سوى 1000 كم وهو ما دعا الجيش لاتخاذ التدابير الاحترازية التي من شأنها الحفاظ على أمن الحدود [30].

كذلك الحال فقد تمكن الجيش الجزائري من ضرب التنظيم في مهده ومراحله الأولى عندما استطاعت وحدة من قوات النخبة الجزائرية من القضاء على أمير الفرع الجزائري لتنظيم الدولة قوري عبد المالك المدعو خالد أبي سليمان بمدينة يسر بولاية بومرداس شرق الجزائر رفقة اثنين من رفاقه كانوا يتأهبون لدخول العاصمة لتنفيذ عملية في أحد المراكز التجارية وتأتي هذه العملية للجيش بعد ثلاثة أشهر فقط بعد مبايعة عبد المالك قوري أميرا لجند الخلافة التابعة لتنظيم الدولة [31] .

ويبدو واضحاً للمتتبع بأن الجيش الجزائري استطاع التحكم في زمام الأمور في حربه على تنظيم الدولة عبر خطوتين أساسيتين:

الخطوة الأولى: تعزيز الدور الإستخباراتي والذي توليه الجزائر أهمية كبرى في القضاء على التنظيمات وتتبع مسار عملياتها ومراقبة مصادر تمويلها ودعمها وهو ما يسهل القضاء على الأمور اللوجستية التي تمنح التنظيم مصادر القوة .

الخطوة الثانية: تعزيز عملياته سواء عن طريق مراقبة الحدود لمنع تدفق السلاح والمقاتلين وكذلك عملياته التي ينفذها في المعاقل التي يتخذها التنظيم مركزاً له في السلاسل الجبلية الرابطة بين ولايات (بومرداس –

(30) محمد بن أحمد ، الجيش الجزائري يتأهب لصد تقدم داعش،5 يونيو2015
http://www.elkhabar.com/press/article/81729
(31) جند الخلافة بالجزائر يخسر زعيمه بعد 3 أشهر من المبايعة ، 2014/12/23
http://www.essalamonline.com/ara/permalink/41156.html

تيزي وزو– البويرة) ولا تزال عمليات الجيش متواصلة حتى كتابة هذه السطور.

4– الجزائر و جاذبية تنظيم الدولة :

يرى الكثير من المتابعين للشأن الجزائري أن حظوظ تنظيم الدولة في الجزائر ضعيفة حيث أن غلو وتطرف التنظيم يذكرهم بالعشرية السوداء التي مرت على البلاد والتي تنفس الجزائريون الصعداء بعد انتهائها، فبحسب تصريح لوزير الشؤون الدينية الجزائري محمد عيسى فإن عدد المقاتلين الجزائريين في تنظيم الدولة لا يتعدى 63 مقاتلاً[32]. وبذلك فهو يعتبر أقل عدد من نسب المقاتلين حسب تأكيد الإنتربول، بينما تشير مصادر أخرى بأن عددهم يصل إلى 200 مقاتل ولكن بأي حال من الأحوال فهم أقل نسبة من مقاتلي التنظيم، ولو تتبعنا بيانات وإصدارات الدولة الإسلامية نجد أنها حاولت في أكثر من إصدار كسب ولاء الجزائريين، فجاء إصدار (رسالة إلى أهل الجزائر) وظهر فيه ثلاثة عناصر من التنظيم جزائريو الجنسية التحقوا بالتنظيم في (ولاية الرقة السورية) وهما أبو البراء وأبو حفص وشخص ثالث لم يكشف عن هويته حيث انتقدوا تأخر الجزائريين عن بيعة الدولة الإسلامية[33].

(32) Hadjer Guenanfa , Comment contrecarrer Daech en Algérie: entretien avec Mohamed Aïssa, ministre des Affaires religieuses , http://www.tsa-algerie.com/20150605/comment-contrecarrer-daech-en-algerie-entretien-avec-mohamed-aissa-ministre-des-affaires-religieuses/ , vendredi 5 juin 2015 .

(33) إصدار مرئي بعنوان (رسالة إلى أهل الجزائر)، ولاية الرقة ، الثلاثاء 14 يوليو 2015.

تعددت الإصدارات التي تطالب الجزائريين للمبايعة وتأخرهم عليها كما حدث أيضاً في إصدار (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) صادر عن ما عرف (بولاية الخير) أو (دير الزور) السورية سابقاً، حيث هاجم الإصدار أنظمة المغرب العربي وعلى رأسها الجزائر وجاء تأنيباً لخلايا تنظيم الدولة في الجزائر لزيادة نشاطها في الجزائر والمنطقة المغاربية عموماً(34).

حيث أن الجزائريين لا يزالون يشعرون بالقلق من احتمال العودة إلى اضطرابات التسعينات خصوصاً مع اندلاع النزاعات في بلدان الجوار كليبيا وتونس، والتي قد تمتد إلى الجزائر، زد على ذلك الصور المتدفقة من سوريا والعراق التي تمثل رسالة تذكير مؤلمة للجزائريين بأحداث العشرية السوداء(35).

خاتمة وتوصيات:

إن المتتبع لشأن الدولة الإسلامية داعش يجد أن هذا التنظيم استطاع في فترة بسيطة التوسع وتحقيق نفوذ لم تحققه أي جماعات جهادية أخرى فشعار الدولة (باقية وتتمدد) شمل شقين **الشق الأول** وهو المصارعة للبقاء في ظل الهجمة القائمة عليها من دول التحالف ضدها و**الشق الثاني** هو تمدد الدولة، فأصبحت تترنح بين السيطرة على مناطق وخسارة أخرى، وبدراسة التنظيم وتواجده في الجزائر نجد أنه لم يكن إعلان انطلاق التنظيم مدروساً بدقة وذلك لعدة أسباب تتمثل في :

(34) إصدار مرئي بعنوان (سحروا أعين الناس وإسترهبوهم) ، ولاية الخير، 19 يناير 2016.
(35) داليا غانم يزبك، لماذا لا تصدر الجزائر الجهاديين؟ ، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، على الرابط: http://carnegie-mec.org/2015/08/11/ar-60974/ieid

1- التجربة الطويلة التي اكتسبتها قوى الأمن الجزائرية في صراعها مع التيارات الجهادية فعلى مدار عقدين كاملين استطاعت القوات الأمنية بكافة أفرعها اكتساب خبرة مكنتها من السيطرة على مجريات الواقع الأمني إلى حد ما.

2- التجربة المريرة التي مر بها الشعب الجزائري مع التيارات الجهادية السابقة خلقت له خوفاً من تكرار سيناريو العشرية السوداء التي مرت بالبلاد.

غير أنه في نفس الوقت يجب علينا أن لا نغفل عن قوة التنظيم وقدرته رغم الضربات التي يتلقاها فللتنظيم القدرة على تجديد الدماء في عروقه وخصوصاً عبر خلاياه النائمة التي ستكون جاهزة للعمل في أي لحظة قد تصدر لها أوامر بذلك.

توصيات:

- بناء مؤسسات الدولة على أسس وطنية ديمقراطية تضمن مشاركة الجميع في بناء الوطن، بما يحافظ على استقرار الأمن المجتمعي داخل الجزائر.

- توفير متطلبات الحياة الأساسية للمواطن، حيث يساعد ذلك على تعزيز الأمن والنظام العام في الدولة .

- على الأحزاب السياسية في الجزائر إعادة بناء نفسها بطريقة تضمن تمثيل كافة أطياف الشعب الجزائري، بحيث تعبر عن واقع الشعب الحقيقي لا أن تكون منفصلة عن الشعب.

- البعد عن سياسة قمع الرأي الأخر وإعطاء فرصة للتعبير عن الرأي بكل أشكاله حتى لا تقع البلاد في أخطاء ارتكبت في السابق وخصوصاً في تسعينيات

القرن الماضي حينما تم تحييد الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن الساحة مما حذا بالتيار الإسلامي لرفع السلاح كطريقة لاسترجاع حقوقه المسلوبة منه.

– دعم الشباب بكل السبل والوسائل سواء عن طريق توفير فرص العمل أو دعم المشاريع الشبابية حرصاً كسبهم وإبعادهم عن دائرة التجنيد في التنظيمات الجهادية.